

اللغة العربية والتحديات المعاصرة

م. بشير داود سليمان

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

مقدمة :

لسنا في هذا الصدد بحاجة الى بيان الدور الذي قامت به اللغة العربية كأداة للتخاطب وكمظهر لصقل التعابير عن ادق الاحساسات وارق العواطف اذ يكفي ان نراجع موسوعات اللغة لنلمس ذلك الثراء الذي عز نظيره في معظم لغات العالم .

ولهذا فقد كانت اللغة العربية لغة أدبٍ وشعرٍ منذ أعرق عصور الجاهلية ولكن سرعة انتشارها ترجع الى الثمار المادية والروحية التي جنتها من الاسلام اكثر منها الى القرار الذي اتخذه الامويون بجعل العربية اجبارية في الوثائق الرسمية ، وخلال القرن الثاني الهجري بدأ انحلال مراكز الثقافة اليونانية في الشرق الادنى ، وتمخض هذا الانحلال عن (أكبر فوضى في اللغات والاديان) فقد بدأت شعوب عريقة في الحضارة كالمصريين والهنود تتحلل من تراثها الخاص لتعتنق على اثر احتكاكها بالعرب ومعتقداتهم واعرافهم وعوائدهم .

وهذا ما قد اوضحه كوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) " ان العربية اصبحت اللغة العالمية في جميع الاقطار التي دخلها العرب حيث خلفت تماماً اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلاد كالسريانية واليونانية والقبطية والبربرية .." (1) .

إن اللغة العربية التي بلغت مبلغاً كبيراً من المرونة والثروة في العهد الجاهلي أدركت في القرن الرابع الهجري أي في عنفوان العصر العباسي أوج كمالها ، ولهذا فقد وصف فيكتور بيرار اللغة العربية في ذلك العصر " بأنها أغنى وابسط وأقوى وأرق وأمتن وأكثر اللهجات الانسانية مرونة وروعة فهي كنز يزخر بالمفاتيح ويفيض بسحر الخيال وعجيب المجاز رقيق الحاشية مهذب الجوانب رائع التصوير "

ولهذا يمكن القول بأن اللغة العربية انتشرت في العالم من قبل ، وذيوعها في بلاد المشرق وفي افريقيا انما تم تحت كنف الحضارة الاسلامية . (2) .

وعلى هذا يمكن تقسيم التحديات التي تواجهها اللغة العربية الى تحديات داخلية وخارجية ، فالتحديات الداخلية متمثلة في :-

1- أزمة متكلمي اللغة العربية الفصحى .

2- انتشار اللهجات العالمية في ارجاء الوطن العربي .

3- الضعف والخلل الذي يعترى مناهج تدريس اللغة العربية .

4- التعثر الذي اصاب مسار التعريب .

اما التحديات الخارجية فهي متمثلة في :-

1- نفوذ اللغة الاجنبية عن طريق العولمة والانترنت .

2- تحدي سياسي بعيد الامد الذي شُن ولا زال على اللغة العربية .

وبعد هذه المقدمة البسيطة عن موضوع البحث الذي نحن بصدده فان اللغة العربية في العصر الحديث مرت بعدة تحديات مما جعلها تتعثر في مسيرتها العلمية ، وقد جاء هذا البحث ليتحدث عن بعض هذه التحديات وليس كلها فهي كثيرة ومتشعبة ولا يمكن لبحث صغير أن يحيط بكل هذه التحديات .

لذلك فقد نظرت في التحديات فتكلمت في هذا البحث عن اهم التحديات التي تواجهها اللغة العربية ، والتي من ضمنها التحدي السياسي الذي جويته به اللغة العربية من سياسة المستعمر وعلى مر □ العصور بتذويب هذه اللغة وجعلها فارغة من محتواها ومن قيمتها وهو يفصل بينها وبين الاسلام .

ثم تكلمت عن التحديات الداخلية والتي هي من ابناء هذه اللغة ، كاللهجات العامية ونشرها والدعوة اليها وهي من اهم التحديات التي تواجه اللغة العربية ، وكذلك مناهج التدريس المتبعة في بلادنا العربية ، وكذلك اهمال اهلها أي اللغة الفصحى من السن المتكلمين بها . وكذلك التعريب وما حدث من تغيير في مساره .

اللغة العربية والتحديات السياسي

مما لا شك فيه فان اللغة العربية تمثل مكانة هامة بالنسبة لنا كأممة ، ذلك لانها وثيقتنا التاريخية ، فلم يترك لنا القدامى من تراث باقي بحيث يعتبره المؤرخون من وثائق للبحث الا اللغة العربية . (3)

فإن حيوية اللغة عالمياً لا تقاس بعدد المتكلمين بها فقط بل هناك عوامل اخرى من اهمها عدد الكتب التي تطبع بها اللغة، فمثلاً نجد أن نسبة الألمان يشكلون اقل من 3% من العالم بينما انتاجهم من الكتب يمثل 9% من الانتاج العالمي للكتب ، ومن ناحية اخرى يمثل ابناء اللغة

العربية اكثر من 3% من سكان العالم ومع ذلك لا يمثل انتاجهم سوى 1% من الانتاج العالمي للكتب .(4)

ان مستقبل اللغة العربية كلغة عالمية ذات طابع وقيمة عصرية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بزيادة الانتاج الفكري والمعرفي الذي يصدر فيها في كل فروع العلوم المعاصرة ، ولا شك في ان قضية كهذه القضية لها بعدها السياسي المرتبط بقضية الحرية والاستقرار السياسي .
ولقد كانت اللغة العربية في العصور الذهبية ولقرون عدة لغة العلم والفكر والحضارة وهذا ما اوضحه المستشرقون في كتبهم فهذا كوستاف لوبون في كتابه(حضارة العرب) يقول " ان العربية اصبحت اللغة العالمية في جميع الاقطار التي فتحها المسلمون "(5) . وهذا ما جعل الجامعات الاوربية من يومها تتسابق في نشر اللغة العربية لانها كانت اللغة التي عن طريقها قرأ الاوربيون علوم الفلسفة والطب والفلك ومختلف العلوم الاخرى . فلم يكن لهم سبيل لقراءة الفارابي وابن خلدون وتقسيمهما للعلوم وابن الهيثم والبيروني في النظائر والفلك او الخوارزمي في الحساب او جابر بن حيان الرازي في الكيمياء سوى اللغة العربية التي كانت يومها لغة دولية ولغة النخب العلمية في العالم (6) .

ولقد اقتبست الدول الاوربية الكثير من المصطلحات من العربية مثل (الكحول والاكسيد والجبر واللوغريتم) وقد استمد الاسبان معظم اسماء الرياحين والازهار من العربية ، ومن جبال البرانس انتقلت مصطلحات العلوم الطبيعية الى فرنسا مثل (البرقوق والياسمين والقطن والزعفران) ويتجلى التأثير نفسه في الهندسة المعمارية فبواسطة اسبانيا استمدت امريكا اللاتينية من اللغة العربية الشيء الكثير من مقوماتها اللغوية ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً . (7)

وعندما بدأ الوهن يدب في جسم الدولة الاسلامية العربية انذاك وبدأت بذور الفرقة بين ساستها وانفراط العقد ، صارت الامة العربية فريسة سهلة للاقتناص ، ومع هذا الانحدار السياسي وقدم الاحتلال الى بلادنا العربية بدأت اللغة العربية تشهد انتكاسة تلو الاخرى ، وبدأت هي الاخرى تستعبد وتضطهد كما يفعل باهلها .

وما تعانیه اليوم اللغة العربية من ضعف وانتكاسه ما هو الا انعكاس لضعف العرب ووهنهم فاللغة كما يقول احد الباحثين ليست شيئاً اكثر أو أقل أفضل أو أردأ أو أغبى ممن يتكلمون بها ، إنها هي هم جاءوا حروفاً منطوقة ومسموعة ومقروءة ومكتوبة ، ان البشر في تاريخهم ليسوا الا لغاتهم جاءوا وقرأوا باسلوب اكثر وضوحاً وتحديداً وتعريفياً بالذات.(8) .

وقد شاع بين ابناء العروبة اليوم التسارع والتسابق والى تعلم اللغات الاجنبية وكأنهم مولعون بها ، وقد قالها من قبل ابن خلدون (المغلوب والمهزوم) مولعُ دائماً وابدأً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزِيَّه ونحلتهِ وسائر احواله وعوائده ، والامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء ، ومن صور الفناء الذي نعانيه ما هو واضح في وضعية لغتنا العربية وانحسارها والمخاطر التي تحيط بها .

ومع بدء نكبتنا بالاحتلال الذي دخل ديارنا عزلت اللغة العربية عزلاً تاماً عن تدريس العلوم الحديثة التي فرض المحتل دراستها بلغته ، وسائر هذا الانقلاب ترسيخ لفكرة عجز العربية عن تدريس أي علم حديث ، وانما حسبها ان تبقى في الكتاتيب والمعاهد الدينية والمدارس الاولية المحجوبة تماماً عن الثقافة العلمية الحديثة .

ثم ما لبثت الفكرة أن جاوزت مجالها المحدود ، في القول بعجز العربية عن العلم الحديث . الى دعوى تعلن أن تخلفنا العلمي والقومي والحضاري في عصور الانحاط ، إنما يرجع الى تثبتنا بلغة بدوية من أحافير عصر الناقة لا تصلح لغير حذاء الابل والوقوف على الاطلال .

وقد اختلطت هذه الدعوى في بعض مراحلها الاولى بالدعوة الى اللهجة العامية فالدكتور (سبيتا) كان يرى لنا أن نهجر الفصحى السائرة الى الموت . إلى اللهجة العامية . على أن نكتبها بحروف لاتينية لكن الحملة بعده على الفصحى سارت في طريقتين : احدهما يدعو الى العامية والاخر يدعو الى لغة اجنبية حية بديلة للعربية الميتة ، وهو ما يتصل بمشكلة لغتنا والعلوم الحديثة . (9)

اللغة العربية والتحدي الاستعماري

لم يكن الاستعمار يوماً يرحم تلك اللغة ، ففي كل مكان يحط فيه بدأ حربه ضدها وضد رموزها ورجالاتها وكتّابها لكي يتمكن من تقطيع اوصال هذه الامة ، وتجزئتها وعزلها عن دينها ، فقد ادرك الاحتلال الغربي البغيض ان اللغة هي روح الامة وهي رمز وحدتها واستقلالها وحريتها ، فلم يترك جهداً في البحث عنه لينزع من هذه الامة وحدتها الوطنية واللغوية، فهو -اعني الاحتلال- لازال يسعى لذلك الهدف البعيد ، وبالتالي تكريس تبعية وثقافة وحضارة واقتصاد العالم العربي للعالم الغربي .

فقد نشط كرومر وكيثشر وجوردين ودنلوب في مصر والسودان في محاربة اللغة العربية محاربة نوبه ، وحرصوا على انشاء جيل جديد من المصريين والسودانيين خلال احتلالهم لهذين البلدين لكي يقوموا باكمال مهمتهم التي بدأوها في حربهم ضد اللغة .

ولم يكن المستشرق الفرنسي الشهير (ماسينيون) رغم إلمامه وإدراكه أهمية اللغة العربية ونصاعة أدبها ورفعة مضامينها الحضارية سوى مستشاراً لحركة الاستعمار الفرنسي في الشمال الأفريقي (الجزائر وتونس والمغرب) وكان هذا المستشرق وراء كل القرارات السياسية التي اتخذها الاستعمار الفرنسي ضد اللغة العربية ومدارسها هناك . (10) .

ولقد انتج الاستعمار البريطاني في مصر ومؤامراته الواضحة ضد اللغة الكاتب المعروف (سلامة موسى) الذي لم يلبث ان صرّح في كتابه (البلاغة العصرية واللغة العربية) " أن اللغة العربية تعطل شعب مصر عن الرقي الثقافي " حتى وصل في تماديه ضد اللغة للمطالبة باستبدال الحروف العربية باخرى لاتينية متخذاً ما ابتدعه مصطفى اتاتورك للغة التركية مثلاً يحتذى به . ثم يختم تلك المطالبة بالسؤال المشبوه " وبالجملة نستطيع ان نقول ان الخط اللاتيني هو وثبة في النور نحو المستقبل ولكن هل العناصر التي تنتفع ببقاء الخط العربي والتقاليد ترضى بهذه الوثبة " (11) .

وليس هذا فحسب بل قد رحب سلامة موسى بحضارة وثقافة ودين الغرب وحتى اخلاقهم وكان الرد عليه بان ذلك سيؤدي الى تمزيق وحدة العرب اللغوية ووحدتهم القومية . (12)

وفي الاتجاه نفسه كان (طه حسين) قد دعا صراحة في بحثه الذي كتبه تحت عنوان " تيسير القواعد واللغة " والذي قدمه للمؤتمر الاول للمجامع اللغوية العلمية المنعقد في دمشق سنة 1956 الى تبديل النحو والصرف العربي ، كل ذلك تحت شعار (تطوير اللغة العربية الفصحى وتيسيرها) (13) . اما في كتابه " مستقبل الثقافة في مصر " فقد كان موقفه من عروبة مصر مشبوهاً للغاية إذ أنه أكد أن مصر تنتمي حضارياً وثقافياً إلى حضارة وثقافة البحر الابيض المتوسط اكثر من انتمائها لحضارة العرب والمسلمين ، وبأن اليونان وايطاليا اقرب اليها حضارياً من العراق وسوريا ، أي ان مصر اوربية اكثر منها عربية .

ولم يقف عند هذا الحد بل قد الف كتاباً يعد من اخطر الكتب التي الفت في تلك الفترة سنة 1936 وتكمن خطورته في دعوته الصريحة الى تبني الحضارة الغربية بقضها وقضيضها، حيث يقرّ في تساؤله المشبوه (امطر من الشرق ام من الغرب) ولم يترك هذا التساؤل للقارئ بل قد أجاب عنه إجابة اشفت صدره حيث يقول : إنها من الغرب . ويطعن في حكم العرب المسلمين لمصر فيقول " والتاريخ يحدثنا كذلك بأن رضاها - أي مصر - عن السلطان العربي بعد الفتح لم يبرأ من السُخط ولم يخلص من المقاومة والثورة وبأنها لم تهدأ ولم تطمئن الا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة " (14) .

ولا يخفى كذلك على كل متتبع للاحداث التي جرت في زمن الاستعمار الفرنسي للجزائر وتونس والمغرب من ظروف الحرب التي شنت على اللغة العربية في تلك المناطق الخاضع للاستعمار الفرنسي الذي عُدَّ استعماراً ثقافياً . وذلك من خلال ابعاد اللغة العربية من جميع معاهد التعليم الحكومي ومن الادارة والتعامل الرسمي ، وقد توجت فرنسا محاربتها للغة العربية باصدار قرار حكومي رسمي سنة 1938 تعتبر اللغة العربية بمقتضاه لغة اجنبية في الجزائر⁽¹⁵⁾ . وكان الهدف من وراء ذلك هو القضاء على اللغة العربية في الجزائر وفرض اللغة الفرنسية وتسهيل دمج الجزائري .

ليس هذا فحسب بل عملت فرنسا على مؤازرة ودعم الارساليات التبشيرية النصرانية لاتمام عملية التغريب لشعب الجزائر .

الا ان اللافت للنظر في حركة الجهاد الجزائري ضد المستمرين هي اقتران الجهاد ضد الاحتلال بالعمل على نشر اللغة العربية كمكون رئيسي للشخصية الوطنية العربية .

ولم يبخل علماء الجزائر في الدفاع عن لغتهم كما لم يبخلوا في الدفاع عن وطنهم السليب وقامت لذلك (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) سنة 1931 واعلنت هذه الجمعية على انها ستعمل على تحرير الجزائر تحت شعار " الاسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا " ⁽¹⁶⁾ .

وعندما احتل الهولنديون اندنوسيا كان من اوائل خطواتهم ما اشار عليهم به المستشرف الهولندي (هرجورنجه) بضرورة منع تدريس اللغة العربية في المدارس واغلاق الكتاتيب وكانت عبارة عن دور لتحفيظ القرآن الكريم ودراسة علوم العربية .

وهكذا يظهر جلياً لنا ان جهود المحتل قد اثمرت في زرع التبعية الثقافية (اللغوية) له وافرزت ظواهر على صعيد الفكر ومدارس تنادي بهذه التبعية ، كل هذا يذكرنا بقول اللورد دوفرين في بداية الاحتلال البريطاني لمصر ، وهو يسجل الهدف الواضح من وراء الغزو حين اشار الى ان تقدم الانكليز في مصر سيظل ضعيفاً ما دامت العامة تتعلم اللغة العربية العظمى لغة القرآن ⁽¹⁷⁾ . وهو يشير الى ان الامة العربية ما دامت متمسكة بلغتها العظمى وبقراءتها فانها لن تهزم ولن ترقع ، فلا بد من ان نعمل جاهدين لستأصال الفصحى من السن الناس ، ببث اللهجات وتشجيعها وابرار الداعين اليها .

اللغة العربية وعلاقتها بالتخلف والتجزئة

لقد عانت وما زالت يعاني الامة العربية من مشكلتين لا زالتا القضية التي تشغل بال المهتمين الا وهما مشكلة التجزئة والتخلف في كل ميادينها الاقتصادية والاجتماعي والسياسي ،

وهو امر تعيشه الامة العربية حقيقة واقعية لا بل ان هذا التخلف مشكلة يعاني منها في العموم دول العالم الثالث .

اما مشكلة التجزئة التي تعاني منها الوطن العربي فهي من المشكلات القديمة التي لا زلنا نجني ثمارها ، ولا شك ان الرابط الحقيقي الذي يعيد لاقطار الوطن العربي وحدته القومية والثقافية هي اللغة العربية الفصحى التي لا غنى لكل بلد عنها ، واذا ما استعملت هذه اللغة بصورتها الحقيقية فان ذلك سيساعد على كسر طوق التخلف والتحرر من التبعيات الثقافية والاقتصادية .

ولقد ادرك اعداؤنا قبلنا ان هذه اللغة الفصحى هي سر الوحدة ، لذلك افرز العدوان الاستعماري الاجنبي (الانكليزي والفرنسي والهولندي) على هذه اللغة الفصحى ظواهر اجتماعية خطيرة منها ظاهرة التهميش وخلق اتجاه سلبي لدى ابناء العرب منها وربطها بمظاهر التخلف والرجعية وطردها من المواقع المتقدمة في الحياة المعاصرة . (18)

لذلك اصبح لدى اغلب مثقفي العرب فكرة ان اللغة العربية الفصحى لا تتوافق والتطورات الحضارية والتكنولوجيا الحاصلة في العالم المتقدم فهجورها الى اللغات الاجنبية التي اصبحت هي وحدها المكانة الاجتماعية والدور الاجتماعي .

" ان وجود هذه الظاهرة ادى الى نتيجة خطيرة هي فقدان الكبرياء الفكري للامة العربية وتشكيك ابنائها في شخصيتهم الحضارية وذاتيتهم الثقافية وحملهم على احتقار تراثهم ولغتهم ، وقام في ذهن المثقفين العرب تلازم بين مفهوم التخلف الاجتماعي والتكنولوجي وبين الثقافة العربية وفي اساسها اللسان العربي ، وهكذا اثبتت الامة من مأمنا " (19) .

ولهذا فقد تداعى الخيارى من هذه الامة العربية المعطاء للدفاع عن حضارتهم وتراثهم ولغتهم ، فقامت عدة جامعات عربية كالازهر والزيتونة والقرويين بالدفاع عن اللغة العربية العظمية ، وكان دورها تاريخياً ومشرفاً ، الا ان هذه المحاولات لم تنل ما تستحقه القضية من دراسة .

وليس هذا فحسب بل ان هناك الكثير من الاصوات التي ترتفع بين الحين والآخر تهتم اللغة العربية بالقصور المطلحي العلمي من دون تدبر موضوعي لخطورة مثل هذا الاتهام التاريخي ، ونحن نعلم ان المؤرخين الغربيين يعترفون بان حركة الاحياء (الرنيسانس) التي بدأت بها النهضة الحديثة في اوربا ، وانما قامت اساساً على ما انتقل من تراثنا الحضاري العلمي العربي الاسلامي الى الغرب الاوربي عبر الاندلس وصقلية والدردينيل ، كما شهدوا بان علوم الطب

والرياضيات والفلك والكيمياء سارت في الغرب الحديث على الدروب التي عبرها رواد هذه العلوم من اعلام الدولة الاسلامية .

وقد ثبت تاريخياً ان اكثر مؤلفات القرب العلمية والفلسفية كانت تدرس في جامعات اوربية الى القرن السابع عشر باصولها العربية او ترجمتها الدينية (20) ولناخذ بعض الامثلة على ذلك .

1- (الرسائل) صابر بن حيان ت (198هـ) التي الفها في الكيمياء باللغة العربية في القرن الثاني الهجري ، عرفتها اوربا في نصوصها العربية وفي ترجمة لاتينية ثم المانية ثم ترجمت الى الانكليزية لسنة 1928 .

2- (حساب الجيد والمقابلة) الذي الفه الخوارزمي ت (236 هـ) في اوائل القرن الثالث الهجري نقله جيرار الكريموني الى اللاتينية في القرن السادس عشر الميلادي ثم نشر روزن نصه العربي مع ترجمة انكليزية في طبعة لندن 1850 .

3- كتاب (الحاوي لصناعة الطب) الذي الفه ابو بكر الرازي ت (311هـ) من علماء القرن الثاني واوائل القرن الثالث الهجري ، تحمل اقدم نسخة عربية منه في اوربا تاريخ 1282 بمخطوطات المكتبة الوطنية في باريس ، ونصف رينو في ترجمته الفرنسية لكتاب ادوارد براون (الطب العربي) على ان كتب الرازي التي ترجمت الى اللاتينية بلغت خمسة وعشرون جزءاً.

4- كتاب علي بن العباس ت (383هـ) (كامل الصناعة الطبية) الذي الفه في القرن الرابع الهجري ترجمة الى اللاتينية في طبعة البندقية 1492 م .

5- وبصريات الحسن بن الهيثم ت (422هـ) التي الفها بالعربية في كتاب من سبعة اجزاء بعنوان (المناظر) ونشر ريزنر ترجمة كاملة له باجزائه السبعة عام 1573م .

6- كتاب (التصريف) للبيب الاندلسي ابي القاسم الزهراوي ت (411 هـ) ترجم الى اللاتينية في طبعة البندقية لسنة 1497 ثم في طبعتي ستراسبورغ سنة 1532 وسنة 1541 م ، والجزء الخاص منه بالجراحة كان اساساً للتعليم الجراحي باوربا لبضعة قرون ، وقد نشر نصه العربي مع ترجمة لاتينية في طبعة اوكسفورد سنة 1778م .

7- قانون الشيخ الرئيس ابن سينا ت (438هـ) في الطب المؤلف باللغة العربية في اوائل القرن الخامس الهجري من خمسة اجزاء ترجمة الى اللاتينية جيرار الكريسموني ونشر في طبعة ميلانو سنة 1473 وبادوا سنة 1476 والبندقية سنة 1482 ، ثم اعيد طبعه حتى بلغت طبعته العشرين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر .

8- كتاب الشريف الادريسي ت (457 هـ) (نزهة في اختراق الافاق) الذي الفه في صقلية في القرن الخامس الهجري كان المرجع الجغرافي الاول في عصر النهضة ونشرت اجزاء منه في ليدن سنة 1866 وفي روما سنة 1883 وفي مدريد سنة 1901 وترجمة دي غوية الى الالمانية في سنة 1894 م .

9- مفردات ابن البيطار ت (646هـ) في الادوية التي الفها بالعربية (الجامع في الادوية المفردة) في اوائل القرن السابع الهجري ، ترجمت الى اللاتينية من قبل ان ينقلها (فون زونتهايمر) الى الالمانية في طبعة (شتوتجارت) 1840 ، (لوكلير) الى الفرنسية في طبعة باريس 1877 .

وفي الوقت الذي يشهد فيه مؤرخو الحضارة الغربيون من امثال (سارتون وويل ديورانت ، والدوميلي ونلليانو ، واماري ، وادم ميتز ، ولويون ، ودي بور ، واولوي ، وبراون ، وكراشكوفسكي ، وتوبيني ، وسيجيريد هونكة) . ان هذه الذخائر في اوصولها العربية وترجماتها اللاتينية هي التي اضاعت للغرب مسراه من ظلمات العصور الوسطى الى عصر النهضة والعلم الحديث . (21)

وعلى الرغم من هذا التراث العلمي الضخمة الذي خلفه لنا علماءنا الافذاذ ، تستمر الجامعات العربية بتدريس الطب والهندسة والطبيعة والرياضيات باللغة الانكليزية والفرنسية ، باستثناء ، جامعة دمشق وبغداد في كليتي الطب .

وهنا يجب علينا ان نتعرف على المشاكل التي تواجه اللغة العربية الفصحى اذا ما اعتمدت للتعليم الجامعي في الكليات العلمية وكذلك ، وكذلك المشاكل التي تعترف سير اللغة العربية وتحد من انتشارها ، واهم الحلول التي يجب علينا ان نفترضها للخلاص من هذه المشاكل وهي كما اوردها في الاتي : -

اهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية والتي تحد من انتشارها :-

- 1- تخلف الدول العربية العلمي والحضاري .
- 2- صعوبة اللغة العربية من حيث القواعد والكتابة .
- 3- اهمال الدول العربية نشر اللغة في الخارج وخاصة في الدول الغير سلامية غير العربية .
- 4- وجدد اللهجات المحلية المنتشرة في كل البلاد العربية والتي تضايق اللغة العربية الفصحى في مسيرتها العلمية .
- 5- انعدام الطرق والوسائل الصالحة لتعليم اللغة العربية لابنائها وللجاناب .

- 6- عدم وجود مراجع عربية كافية في نواحي العلوم المختلفة .
- 7- عدم تشجيع الابتكار العلمي والتأليف باللغة العربية في مختلف فروع العلوم .
- 8- عدم تحقيق الوحدة الثقافية بين الاقطار العربية .
- 9- محاربة الدول الاستعمارية اللغة العربية لانها اصبحت ترتبط بمفاهيم الحرية والاستقلال .

الحلول المقترحة

- 1- الاهتمام بنهضة البلدان العربية علمياً وثقافياً لجعلها في مستوى البلدان المتقدمة .
- 2- تبسيط قواعد اللغة العربية في مؤتمر عام لعلماء اللغة .
- 3- اهتمام الحكومات العربية وجامعة الدول العربية بفتح مراكز ثقافية عربية ومعاهد لتعليم اللغة العربية للاجانب في مختلف بلاد العالم وخاصة الدول الاسلامية غير العربية مع العناية باعداد المتخصصين في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ويتألف الكتب ووضع البرامج والاشربة المسجلة والافلام الصالحة لهذا التعليم وتوسيع التبادل الثقافي والعلمي بين البلدان العربية والبلدان الاخرى ونقل كل فيه الجدة عن فكرنا وادبنا الى اللغات الاجنبية .
- 4- تشديد الرقابة على اجهزة الاعلام من اجل استعمال الفصحى دون العامية وتقريب الفجوة بين الفصحى والعامية .
- 5- عناية الدول العربية بالكتاب المدرسي والمناهج المقررة وباسلوب التعليم .
- 6- تشجيع ترجمة جميع المراجع العلمية الجامعية الى اللغة العربية وتشجيع البحث والتأليف في مختلف العلوم .

اهم المشاكل التي تعترض الاساتذة الجامعيين للتدريس بالغة العربية

- 1- عدم وجود المراجع العلمية وكتب الدراسة باللغة العربية .
- 2- نقص المصطلحات العلمية والتقنية العربية .
- 3- اختلاف المصطلحات بين الدول العربية .
- 4- ضعف الاساتذة والطلاب الجامعيين باللغة العربية .
- 5- تقصير ونقص الجامعات في ميدان البحث العلمي .
- 6- عدم تعاون الجامعات وحتى كليات الجامعة الواحدة على اختيار المناهج والمراجع والكتب الدراسية .

الحلول المقترحة

1- تكوين المكتبة العلمية التي تعني بترجمة الكتب التي تختار للتدريس من المؤلفات الاجنبية بالاضافة الى تشجيع حركة التعريب ، وعقد حلقات دراسية مشتركة لمشكلة المعجم العربي يشترك فقهاء اللغة واساتذة العلوم ومراكز البحوث .

2- العمل على تعريب المصطلحات مع الموازنة في سرعة تطورالعلم .

3- اصدار كتب جامعية موحدة بين الدول العربية واشتراك الجامعات العربية في ايجاد المصطلح العلمي الملائم .

4- ايجاد لجنة .

ولا شك في ان معظم المشاكل والضعف الملحوظ في مستوى استيعاب الطلبة اللغة العربية في المرحلة الثانوية والجامعية ناتج عن اهمال الفصحى في المرحلة السد (وهي من العام الاول الى العام السادس من عمر الطفل) وفي هذا يقول الدكتور عبد الله الديان ان الاطفال العرب دون السن السادسة قادرون على فهم الفصحى بسبب كونها تشع حولهم فهم يسمونها تتردد في التلفزيون والراديو وقراءات واناشيد الاطفال الذين هم اكثر سناً حين يعودون من المدرسة . وبناءً عليه فقد اعتمدت اللغة العربية الفصحى لغة لبرنامج (افتح ياسمسم) الموجه للاطفال العرب الذين هم دون سن المدرسة . (22)

وفي هذا يحق لنا ان نتساءل : لماذا نجح الصهاينة في احياء لغتهم العبرية الميتة، بينما نتعثر نحن في احياء لغتنا الحية التي كان لها الدور في العصور الوسطى لكلفة علم وحضارة ؟ وفي هذا يقول الدكتور عبد العزيز عبد الله : ان دويلة اسرائيل قد جعلت من العبرية لغة التعليم في الطب والهندسة والعلوم في الجامعات لانها اخذت الامر بجدية ووجدت خطتها وعبات مائتي خبير لا شغل لهم الا تتبع ما يستجد من مصطلح لعبدنته في الحين ، واصدار مرسوم حكومي بالزامية في التدريس والتاليف وياقي اجهزة التعبير في الدولة. (23)

انتشار اللهجات العامية وخطرها على اللغة الفصحى

ان من الامور الثابتة لدينا هو رسوخ العربية الفصحى رغم ما طرأ عليها من نوائب لكنها لن تقدر على مواجهة تحديات اللهجات المحلية ومع ذلك فهي لم تسمح لها بتعويضها ، وقت تفوقت وضعية التمازج اللغوي والثقافي دون المساس بلغة القرآن التي شملت ميادين في الدين والتعليم والادب المدون ، وقد تنافس الفصحى والعامي في عدة ميادين اخرى خاصة في الوسائل السمعية والبصرية كالاذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما فتفوق عامل نشر التثقيف والتوعية الجماهيرية

على الاعتبارات اللغوية وتبين ان شمولية الثقافة لا تكون قراراً ثابتاً مستمراً الا اذا كانت باللغة القومية الفصحى .

وقد تركزت الجهود منذ العصر الجاهلي على تدوين واقرار العربية الفصحى وقد تعطلت تلك الجهود عند نشوء العاميات المحرفة والتخلي عن الاعرب وظهور اللون بعد انتشار الفتوح الاسلامية في الاقطار الاعجمية ، فادى ذلك الى القياس ازمنة الفعل مثلاً واتضح الامر جلياً في المضارع ، كما ان الجهة تحررت تراكيبها نوعاً ما في حين ان اللهجات الحديث بدت مجهدة لها . (24) . فاستعجل العلماء الامر وقرروا ضبط اللغة بالقواعد النحوية والصرفية لتجنب العربية اقصى ما يمكن من العيوب وصيانتها من الانحرافات .

والذي يهمننا في هذا الموضوع هو البحث في قول القائلين ان اللهجات العامية تصلح ان تكون لغة تداول رسمي وشعبي ، ثم ما يحمله الطفل لدى تسجيله في المدرسة من خزين لمفردات عامية كثيرة وصعوبة التوفيق بين ما يسمعه في البيت من الفاظ عامية وبين ما يتعلمه في المدرسة وفي المناهج الدراسية من لغة فصحى .

ويمكن تقسيم هذه الذخيرة اللغوية التي يملكها الطفل الى قسمين اساسيين

اولهما : - ما يلقنه من ابويه وممن يحيط به ، وهو يختلف بين طفل وآخر .

ثانيهما :- فتتمثل في ظاهرة البث التلفزيوني الذي يستهدف الاطفال ، وتحديداً البرامج المعروفة بـ (الكرتون) او الصورة المتحركة ونحن لو اكتفينا بالجانب اللغوي لوجدنا اننا امام ظاهرة ايجابية اذا اعتمدت اللغة العربية الفصحى في هذه الرسوم وهو ما قد لاحظناه في اطفالنا من انتقال باتجاه تقبل الفصحى بيسر نتيجة ارتباط الدال بالمدلول المرئي الذي يستحوذ على اعجابهم . (25)

الهوامش

- 1- حضارة العرب كوستاف لوبون ، الطبعة الفرنسية ص 473 .
- 2- اللسان العربي المجلد الثالث عشر سنة 1976 ، ص 8 .
- 3- تكوين الفكر العربي قبل الاسلام من اللغة مجلة اللسان العربي العدد 14 سنة 1977 ، ص 96 .
- 4- اللسان العربي ، العدد 40 السنة 12-1975 ، ص 200 .
- 5- اللسان العربي ، السنة 13 ، العدد 1 سنة 1976 من 7-8 .
- 6- اللغة العربية اسئلة التطور الذاتي والمستقبل (مركز دراسات الوحدة العربية) ، ص 58 .
- 7- اللغة العربية وتحديات العصر - بن عبد الله اللسان العربي 1976 ، ص 8-9 .
- 8- عبد الله القصيمي (العرب ظاهرة صوتية ، ص 65 .)
- 9- اللغة العربية وعلوم العصر عائشة بنت الشاطئ اللسان العربي ، المجلد 13 سنة 1976 ، ص 20 .
- 10- اللغة العربية اسئلة التطور الذاتي والمستقبل ص 59-60 .
- 11- اللغة العربية بين الواقع والادعاء (محور الخطابي) ، اللسان العربي 1977-14 ، ص 140 .
- 12- العربية الفصحى في ظل تحديات اللهجة العامية ، بشير داود سليمان ، مجلة مركز المستنصرية ، عدد 25 .
- 13- (مهددة من داخلها) محمد محمد حسين 65 ص 152 .
- 14- الفكر الاسلامي المعاصر ، غازي التوية ، ص 158 .
- 15- اللغة العربية اسئلة التطور الذاتي والمستقبل ، ص 60 .
- 16- المصدر نفسه ص 60 .
- 17- معلمة الاسلام ، انور الجندي ص 507 .
- 18- اللغة العربية اسئلة التطور الذاتي والمستقبل ص 62 .
- 19- الابعاد الحضارية للتعريب ، محي الدين صابر ، ص 72 .
- 20- اللغة العربية وعلوم العصر ، اللسان العربي سنة 13 عدد 1 ، 1976 ، ص 17 .
- 21- المصدر نفسه ، ص 18 .
- 22- اللغة العربية ، الابداع الفكري الذاتي ، د. عبد الله الدنان ، ص 6 .
- 23- اللسان العربي - السنة 12 - العدد 1 سنة 1975 ، ص 6 (استراتيجية التعريب) د. عبد العزيز بن عبد الله .
- 24- لحن العامة والتطور اللغوي رمضان عبد التواب ، ص 59 .
- 25- اللغة العربية اسئلة التطور الذاتي والمستقبل ، ص 184 .